



العرض التاريخي

كتابة التاريخ للجمهور وللإختصاصيين - شروط العرض التاريخي - اللغة : الوحدة التاريخية ،
طريقة الكتابة - الهوامش : الأصول والمراجع ، بعض النصوص وبعض الآراء - ملاحق البحث :
نشر عتبارات من الأصول التاريخية ، مناقشات وآراء - مكتبة البحث : ترتيبها .

آخر مرحلة من مراحل هذا المنهج هي مرحلة العرض التاريخي . وهي ليست
أسهل من المراحل السابقة . وبالضرورة لا تصبح كتابة التاريخ سهلة إلا حينما تكون
جميع الحقائق ماثلة أمام الباحث مثبتة مرتبة معللة مشروحة ، وعندما يتخيل
الباحث موضوع البحث كله كوحدة عامة ، ويدرك الأهمية النسبية لأجزاء البحث
المختلفة ، ويحسن اللغة التي يكتب بها .

ولا بد من كفاية ودراية خاصة لعرض نتيجة البحث التاريخي بالأسلوب الجدير
به . وليس من السهل على كل فرد أن يكتب التاريخ ، أو أن يقوم بدرسه أو
تدريسه . وكم تحوى رفوف المكاتب من مؤلفات كثيرة يظن كاتبوها أنها كُتبت
في التاريخ ، وهي بعيدة في الواقع عن أن تكون تاريخاً بالمعنى العلمي الصحيح . ومن
المناسب أن يبعد عن ميدان التأليف التاريخي كل مَنْ هو غير مؤهل لذلك ، سواء
أكان هذا من ناحية صفاته وملكاته الشخصية أم من حيث درسه وتعليمه ، ومن
الضروري أن يبعد عن تدريس التاريخ المعلم الذي فاته التعليم والتدريب الكافي ،
وسيكون هذا أنفع لشخصه وأجدى على القراء وطلاب التاريخ . وإذا تحقق
ذلك فإن الأجيال التالية ستتغير نظرتها وعنايتها وتقديرها لصعوبات البحث العلمي
التاريخي* ، وما يقتضيه ذلك من الصبر والجهد والتأني ونفاذ البصيرة والعدالة

* Fling : op. cit. p. 158 : Drive the "history fakir" from the field of historical writing and the untrained history teacher from the schoolroom, and the educated public of the next generation will take a different attitude toward historical work and have a better appreciation of the difficulties of historical research.

والصدق وسلامة الذوق ودقة التعبير .

وتوضع المؤلفات التاريخية إما للجمهور وإما للمختصين . فالكتب التي توضع للجمهور يُقصد بها الثقافة العامة ، وهي تُعنى بتقديم صورة سهلة واضحة مختصرة عن العصر أو الناحية التاريخية التي تتناولها . ولا تحتوى مثل هذه الكتب على التفصيلات وعلى الإرشادات إلى الأصول والمراجع ، وتكتفى بذكر بعض المراجع العامة للرجوع إليها إذا رغب القارئ في المزيد . ومن الأفضل أن يكتب هذه المؤلفات العامة نفس الباحثين الذين يكتبون للمختصين ، إذا اتسع وقتهم لذلك ، لأنهم أقدر على فهم دقائق التاريخ وتفصيله ، وهم في الغالب أقدر على عرضه بصورة عامة واضحة مختصرة .

والبحث التاريخي الذي يقضى الباحث في دراسته سنوات عديدة ، ينبغي أن يُعرض بطريقة علمية ، وإذا لم يستوف العرض التاريخي الشروط الأساسية الخاصة به ، فإنه يضيع الفائدة التي يمكن أن يجنيها العلم من مجهود الباحث وما وصل إليه من النتائج .

فن شروط العرض التاريخي أن يكون للباحث في التاريخ المقدرة على حسن التعبير باللغة التي يكتب بها ، فعليه أن يعرف كيف يختار الألفاظ والأساليب التي تُعبّر عن غرضه . ومن المحدثين في كتابة التاريخ مَنْ يتعمّد اختيار الألفاظ الصعبة والأساليب المعقدة الثقيلة ، لإيهام القارئ بالمقدرة وعمق التفكير ، وهذا أمر مُخلٌ بأسلوب العرض التاريخي . فعلى الباحث أن يكتب بلغة سهلة واضحة تلائم الموضوع الذي يتناوله ، وتتفاوت بتفاوت أجزائه وتفصيلاته . وعليه أن يكتب بأسلوبه الخاص الذي تتضح فيه شخصيته ، فلا يقلّد غيره من الكتاب والباحثين . ولا ريب فإن لكل كاتب طريقته الخاصة في التعبير عن آرائه ، في نطاق اللغة التي يكتب بها .

وكذلك ينبغي ألا يكتب الباحث بأسلوب أدبي صرف ، لأن ذلك ربما يضطره إلى تغيير الحقائق ، وإلى المبالغة فيما يكتبه ، لإحداث الأثر المطلوب في نفس القارئ . وليس المقصود أن يكتب قطعة أدبية مثيرة للعواطف ، بل المقصود أن يعرض على القارئ بوضوح النتائج التي وصل إليها . وياحبذا لو كانت للباحث ملكة

الكتابة ، التي يجمع فيها بين البساطة والدقة وروح الفن لكي يعرض الحقائق والحوادث كما كانت أو كما فهمها ، بالصورة التي تجتذب القارئ إلى الإقبال عليه والإفادة بما كتبه .

ومن شروط العرض التاريخي توفر الوحدة التاريخية في الكتاب الموضوع ، والتي يمكن أن تتميز بطابع فني خاص ، ولكنه غير خالص ، وعلى غير ما نجده في قطعة شعرية أو في تمثال فني قائم بذاته . وعلى الرغم من الوحدة السائدة في مؤلف تاريخي ، ينبغي أن يراعى فيه أنه جزء من التاريخ العام ، إذ يسبقه عصر ويتلوه عصر آخر . وينبغي أن يكون غرض الباحث أن يقدم الحقيقة التاريخية بما يناسب علم التاريخ وفنه ، لا أن يقدم قطعة فنية خالصة ، فيعرض الوحدة العامة لموضوع تأليفه ، مع عدم إغفال ما تتميز به أجزاؤه ، ووضعه في مكانه بالنسبة لمجرى التاريخ .

وينبغي أن يلاحظ الباحث أن القارئ لم يطلع على الأصول والمصادر التي رجع إليها ، فعليه أن يوضح ما توصل إليه في موضوع بحثه من حيث كلياته وجزئياته ، بتقديمه الأدلة والبراهين على ما يقدمه من الحقائق ، وأن يجعل واضحاً في ذهن القارئ الاتجاه العام الذي سيبثه .

وقبل أن يبدأ الباحث في الكتابة ، عليه أن يجعل الهيكل الذي سيسير بمقتضاه ، أكثر تحديداً ، ثم يكتب طبقاً للنظام والتقسيم الذي يضعه . وليس من الضروري أن يكتب أجزاء البحث بترتيب وضعها . فقد يكتب الفصل الخامس قبل الفصل الأول مثلاً ، بحسب النواحي التي تكون أكثر اكتمالاً ووضوحاً . ويحسن به إذا ما انتهى من كتابة جزء من البحث أن يتركه جانباً فترة من الزمن ، ثم يعود إليه مرة أخرى ، ويحاول أن ينقد طريقة العرض التي اتبعها ، وكثيراً ما تظهر له مسائل غامضة أو غير حسنة الترتيب أو الصياغة ، فيوضحها أو يعدلها أو يعيد كتابتها من جديد ، إذا اقتضى الأمر ذلك . وإن إعادة الكتابة غير مرة ، تجعل عبارة الكاتب أدق وأوفى بالغرض .

وينبغي أن يكتب الباحث وفي ذهنه احتمال الوقوع في الخطأ ، وعليه أن يبادر بتصويب ما يمكن أن يكشف عنه من الأخطاء إذا ما ظهرت له معلومات أو أدلة جديدة . وحينئذ لا يكون واثقاً من نقطة ما ، عليه أن يقرر ذلك بصراحة . وفي أحوال

كثيرة يكون تعديل إحدى المسائل وتصحيحها أمراً متروكاً لضمير الباحث نفسه ،
إذْ ربما لا يستطيع أحد غيره أن يفتن إلى معرفة التفاصيل والجزيئات التي تكون
الموضوع الذي يدرسه ويعرضه ، والمسألة تتطلب الأمانة العلمية الخالصة .

ومن طرق تقديم الأدلة على حادث ما ، أن يقدم الباحث في متن الكتاب
الذي يضعه فقرات من الأصول والحقائق التي رجع إليها ، وقد يُسمى ذلك إلى
جمال الأسلوب الكتابي ، ولكن لا بد من التوضيح بهذه الناحية أحياناً في سبيل
تعزيز الحقائق التاريخية وإظهارها . وإن إيراد نصوص مأخوذة من الوثائق ليعد
في بعض الأحيان بمثابة الماء للأرض الجافة العطشى .

والمسألة التالية هي مسألة الهوامش والخواشي . فينبغي أن تكون الهوامش جزءاً
هاماً في أسفل الصفحات أو في نهاية الفصل أو في نهاية الكتاب ، لكي تضبط
الوقائع الواردة في متن التاريخ . وفي المؤلفات المطبوعة التي يعتمد عليها الباحث ، يلزمه
أن يضع اسم المؤلف (اللقب أولاً ثم الاسم أو أول حروفه) ، ويضع اسم الكتاب
ومكان طبعه وتاريخه ، ورقم المجلد إذا كان متعدد المجلدات ، ورقم الصفحة . وإذا
كان الكتاب المطبوع نادر الوجود ، فينبغي ذكر مكان وجوده ورقمه . وإذا
كان الأصل التاريخي الذي اعتمد عليه الباحث وثيقة مخطوطة ، فينبغي ذكر
الأرشيف أو المكتبة التي توجد بها ورقم المجلد ورقم الملف والورقة أو الصفحة ،
وتاريخ الوثيقة ومكان تدوينها ، وعمّن صدرت وإلى من أرسلت ، وبيان ما إذا
كانت ورقة نهائية رسمية أو غير رسمية ، أو مسودة ، إذا أمكن معرفة كل هذه
النواحي . ولا بد أن تكون هذه المعلومات دقيقة وصحيحة ، وألا يحدث بشأنها سهو
أو اضطراب وخلط ، وإلا فلا فائدة منها أصلاً ، لأن المقصود بذلك أن تتاح
الفرصة أمام الإخصائي للرجوع بنفسه إلى بعض هذه الأصول التاريخية ، إذا
رغب في التثبت بنفسه من مسألة معينة – وهذا شيء من حقه – أو إذا رغب في
متابعة البحث في نفس الموضوع والمزيد فيه .

وفي أحوال كثيرة يضطر الباحث إلى أن يورد في الهامش نصاً أصلياً مأخوذاً
من مخطوط أو من مطبوع ، فيحسن أن يكون ذلك بلغة النص الأصلية ، لأن
الترجمة قد تغير المعنى . ويكون ذلك في الحالات التي يصعب أو يتعذر فيها

الوصول إلى الأصل التاريخي ، أو حينما يكون من الضروري تقديم الدليل القاطع لإثبات حقيقة تاريخية معينة ، مما يجعل القارئ قادراً على فهم التاريخ المكتوب . وأحياناً يجد الباحث أن من الضروري أن يناقش أو ينقد نصاً أو دليلاً تاريخياً في الهامش ، أو ينقد رأى مؤلف آخر في مسألة ما ، أو يوفق بين عدة آراء خلافية عن حادث ما . ومن أمثلة ذلك أنه وجدت آراء خلافية بشأن مقتل روبسبير في تاريخ الثورة الفرنسية الكبرى . فتذكر بعض المصادر أنه قد حاول الانتحار . ويعتقد بعض المؤرخين أن ميذا ، أحد رجال البوليس ، قد أطلق عليه الرصاص . ويرجح بعض آخر أن روبسبير قد أطلق النار على نفسه ، وإن يكن ذلك لا يمنع أن بعض الأشخاص قد أطلق عليه الرصاص كذلك ، سواء أصابه أم لم يصبه . ففي هذه الحالة ينبغي على الباحث أن يورد في المتن الرأى الذى يرجحه مع الأدلة على ذلك ، ويورد في الهامش الآراء الخلافية والأدلة عليها ، ويناقشها ويستخرج رأيه إذا أمكنه أن يفعل ذلك ، أو يترك المسألة كما هى ، إذا لم يصل فيها إلى رأى قاطع . ولا يكون الباحث مسؤولاً إذا لم يجد من الأدلة التى لا تقبل الشك ، ما يصل به إلى الحقيقة الثابتة .

ولا يوجد حد واضح يفصل بين ما يجب إيراده في متن الكتاب أو في الهوامش . والمسألة متروكة لتقدير الباحث وميزانه . فقد يرى باحث أن يضع مسائل معينة في المتن ، بينما يفضل غيره وضعها في الهامش . ويرجع الاختلاف والتفاوت إلى الاختلاف بين طبيعة المسائل التاريخية ، والتداخل بين تفصيلاتها الجوهرية والثانوية ، والاختلاف بين باحث وآخر في تقدير مدلول الحقائق التاريخية في عمومها وتفصيلاتها .

وتأتى بعد ذلك ملاحق البحث ، وهى مجال لتقديم أو نشر مختارات من الأصول التاريخية التى اعتمد عليها الباحث . وإن نشر بعض هذه الأصول لأمر "جوهري" ، إذ أنه يقدم للقارئ المختص شيئاً من المادة الأولية التى استقى منها الباحث معلوماته ، وينقله إلى ذلك المجال الذى استخرج منه الحقائق التاريخية . وقد تكون هذه الأصول مراسلات سياسية يكتبها السفراء إلى حكوماتهم ، أو قد تكون تعليمات تلك الحكومات إليهم ، أو صوراً للمعاهدات سياسية أو تجارية أو حربية ، أو مشاهدات رحالة معاصر ، أو وصف شاهد عيان . . . ومن الأفضل أن تُنشر هذه الأصول

